المحاضرة الثالثة:عصـــــر الـــولاة:

هو العصر الثاني من عصور الأندلس وصار الحاكم يُسمى والياًويبدأ هذا العهد بتعيين عبد العزيز بن موسى بن نصير والياً على الأندلس في أواخر سنة(٩٥هـ/٧١٤م) الذي أتخذ أشبيلية عاصمة له ويستمر هذا العصر إلى سنة(١٣٨هـ/٧٥٦م) عندما نجح عبد الرحمن بن معاوية (عبد الرحمن الداخل) في تأسيس الإمارة الأموية في الأندلس.

كان تعيين الولاة في الأندلس الذين بلغ عددهم عشرون والياً تولى منهم اثنان لمرتين خلال(٤٢)سنة من قبل الخليفة الأموي في دمشق؛ لارتباط الوالي به سياسياً وإدارياً وعسكرياً وفي مـ ارت أخرى كان يتم تعيينه من قبل والي المغرب لتبعية الأندلس للمغرب الإسلامي أو من قبل أهل الأندلس في مـ ارت أخرى وذلك لبعد الأندلس عن مركز الخلافة في بلاد الشام.

أهم مميـزات عصـر الـولاة:

١.إستكمال فتح المدن الأندلسية خاصة في عهد الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير كما ذكرنا سابقاً.
٢.مجابهة الممالك الإسبانية التي نشأت بعد الفتح وصد هجماتهم في الشمال الإسباني.
٣.مواصلة الفتوحات و اء جبال البرتات (بلاد الغال– فرنسا) لنشر الإسلام.
٤.تنظيم حملات عسكرية على طول السنة عُرفت بالصوائف (تخرج في الصيف) والشواتي (في الشتاء).
٥.اضط ارب السياسة العامة للخلافة الأموية بعد الخليفة الوليد بن عبد الملك ووقوعها فريسة العصبيات القبلية والشخصية,وكان لابد أن يكون لذلك كله أثره في الأندلس كما كان له أثره في المغرب.
٦.ظهور العصبيات العربية (بين القيسية والمضرية) في المغرب ثم الخلاف بين العرب البلديين والعرب الشاميين,ثم المنازعات والحروب بين العرب والمغاربة (البربر) وكان لابد أن يمتد ذلك كله إلى الأندلس.
٧.التنازع على السلطة بين الطامعين فيه ومنها اغتيال الوالي عبد العزيز بن موسى بن نصير نتيجة مؤامرة دبرها كبار قادة الجيش من العرب أمثال أيوب بن حبيب اللخمي وحبيب أبي عبده وغيرهم بالتواطؤ مع الخليفة الأموي سليمان بسبب عدة اتهامات للوالي المغدور حسب بعض الروايات
٨.قِصر فترة حكم الولاة حيث تولى أمر الأندلس خلال هذا العهد(٢٠)والياً تولى اثنان منهم الـ حُكم مرتين ومعنى ذلك أن متوسط مدة الوالي أقل من سنتين وهذا يدلل على عدم الاستق ارر الذي ساد الأندلس.

٩.انتشار المجاعة في الأندلس وخاصة في سنة١٣٦هـ كنتيجة للحروب الشديدة بين العرب أنفسهم وبينهم وبين البربر،فازدادت الهجرة إلى أفريقيا وقل عدد المسلمين في الأندلس.

١٠.انتشار الإسلام واللغة العربية في الأندلس بسبب المصاهرة،وتأسيس المساجد ووصول عدد من العلماء والدعاة من المغرب والمشرق وسياسة التسامح مع أهل الذمة حسب قواعد الإسلام الذي يقوم على مبدأ "لا إكراه في الدين" و"أن أكرمكم عند الله أتقاكم."

١١.عمل بعض الولاة على مزج عناصر ومكونات المجتمع الأندلسي والتي كان أهمها: العرب، المغاربة (البربر)،الموالي،المسالمة (الإسبان الذين اعتنقوا الإسلام)،المستعربون (الإسبان الذين ظلوا على دين النصرانية من أهل الذمة وعاشوا مع المسلمين)،اليهود،والمولدون (وهم أبناء الفاتحين وأُمهاتهم من الإسبانيات) والصقالبة.

١٢.أن استمرار المنازعات والحروب والفتن في الأندلس خلال عصر الولاة أدت إلى نتيجة خطيرة هي ظهور حركة الاسترداد،وذلك أن العرب حينما فتحوا الأندلس تركوا منطقة جبلية وعرة في الركن الشمال الغربي لشبه جزيرة أيبيريا زهدوا فيها لوعورتها وقساوة مناخها عرفت عند العرب باسم صخرة بلاي فالتجأت إليها فلول القوط بقايا الأيبيريين الرومان كان من بينهم بلاي(Pleyo)فالتف هؤلاء من حوله ومن أنضم إليهم من النصارى الإسبان،وبقوا ينتظرون أن تواتيهم الفرصة للعمل على استرداد بلادهم،وجاءت هذه الفرصة خلال الفتن والحروب بين العرب والبربر ونجح بلاي في الاستيلاء على مقاطعة في الشمال الإسباني وتأسيس مملكة استوريش.

أشهر ولاة الأندلس:

ذكرنا سابقاً أن عدد ولاة الأندلس عشرين والياً،سوف نستعرض أشهرهم وأهم إنجازاتهم:-

١.عبد العزيز بن موسى بن نصير(٩٥-٩٧هـ) عرضنا بعض أعماله.

٢.أيوب بن حبيب اللخمي وهو أبن أخت موسى بن نصير(٩٧هـ لعدة أشهر)،نقل عاصمة الأندلس من أشبيلية إلى قرطبة وبنى بلدة (أطلق عليها قلعة أيوب).

٣.الحر بن عبد الرحمن الثقفي(٩٧-١٠٠هـ) واصل حركات الجهاد إلى جبال البرتات وفتح مدينة أربونة وقطلونية وبرشلونة.

٤.السمح بن مالك الخولاني(١٠٠-١٠٢هـ) هو من خيرة الولاة حيث قام بعدة إصلاحات إدارية وعمرانية ومالية كما أهتم بالناحية العمرانية ومنها إعادة بناء سور قرطبة وقنطرتها واستشهد في إحدى المعارك بالقرب من طولوسة سنة(١٠٢هـ/٧٢١م).

٥.عنبسة بن سحيم الكلبي(١٠٣-١٠٧هـ) ُعرف عنه الكفاءة الإدارية فقام بتنظيم الأمور وتهدئة البلاد ومواصلة الجهاد في منطقة جيليقية واستشهد على يد الإفرنج سنة١٠٧هـ.

٦.عبد الرحمن الغافقي تولى ولاية الأندلس مرتين المرة الأولى سنة١٠٢هـ والولاية الثانية في سنة (١١٢-١١٤هـ). وكان من كبار جند الأندلس ومن الذين قضوا معظم أيامهم في الجهاد في غاله (فرنسا) وقام بجمع القوات وتنظيم الجيش وتحصين الثغور وتقوية القواعد الإسلامية في مدينة أربونة وفتح مدينة بوردو (جرديل)ثم مدينة بواتيه،ثم زحف إلى مدينة تور في السهل الممتد بين مدينتي تور وبواتيه بفرنسا فاصطدم بجيش شارل مارشل في معركة طاحنة التي استمرت ثمانية أيام سنة (١١٤هـ/٧٣٢م) التي تُسمى في المصادر العربية ببلاط الشهداء،وفي المصادر الغربية بمعركة تور-بواتيه والتي انتهت بهزيمة المسلمين واستشهاد القائد والوالي عبد الرحمن الغافقي وسنفصل الموضوع لاحقاً.

٧.عبد الملك بن قطن الفهري(١١٤-١١٦هـ) تولى حكم الأندلس مرتين المرة الأولى في سنة١١٤هـ والمرة الثانية في سنة(١٢٣-١٢٤هـ) حيث واصل عمليات الجهاد في الشمال الإسباني وجنوب فرنسا وتعويض ما فقده المسلمون في معركة بلاط الشهداء.

٨.عقبة بن الحجاج(١١٦-١٢٣هـ) كان عقبة جندياً عظيماً،عزم على مواصلة الجهاد وتوطيد الإسلام في الولايات الأندلسية بالشمال وفي غاليسيا (فرنسا) وتنظيم الجيش وتوغل في جيليقية واستولى على كثير من مواقعها واستردادها من الفرنجة في فرنسا بعد معركة بلاط الشهداء.

٩.يوسف بن عبد الرحمن الفهري(١٢٨-١٣٨هـ) استمر ولاة الأندلس في التعاقب حتى وصول الوالي يوسف الفهري حفيد عقبة بن نافع الذي أجمع البلديون على رياسته وكان الشاميون في الأندلس مستعدين للخضوع له بسبب مضريتهم ويكون الصميل بن حاتم مستشاره وصاحب أريه واستمر الوضع في الأندلس إلى سنة١٣٢هـ حيث سقطت الخلافة الأموية في المشرق،مما جعل الوالي يوسف الفهري يستقل عن والي المغرب وينفرد بحكم الأندلس إلا أنه ظهرت الدعوة لعبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الملقب بالداخل والتوجه إلى الأندلس ٍواعلانه الإمارة الأموية سنة(١٣٨هـ/٧٥٥م).

معركة بلاط الشهداء(١١٤هـ/٧٣٢م)

تعد هذه المعركة من أشهر المعارك الحاسمة والمهمة في التاريخ الإسلامي عامة وفي تاريخ الأندلس وأوروبا خاصة رغم خسارة المسلمين في هذه المعركة في أرض الغال (فرنسا) فاستشهاد القائد والوالي عبد الرحمن الغافقي وقد سبق وأن استشهد القائد والوالي السمح بن مالك الخولاني.

لقد أختلفت المصادر والمراجع الغربية عن نظريتها العربية في تحديد أهمية الانتصار الذي أحرزه شارل مارتل في هذه المعركة,ففي حين عدها الغرب من المعارك الحاسمة في التاريخ,وترى أنه لو انتصر فيها العرب لاجتاحوا أوروبا دون أن يمنعهم مانع,وأنتشر الإسلام فيها إنتشاراً كبيراً على حساب المسيحية وبالتالي لتغير وجه التاريخ,ولذلك أسهب العديد من مؤرخي الغرب في تقييمها وتحليل نتائجها,بينما أوجزت المصادر العربية الحديث عنها,إذ عدتها على ما يبدو خسارة عادية كبعض المعارك الأخرى التي خسرها العرب المسلمين أثناء معركة الفتوحات,واستدلت على ذلك بأن هذه الخسارة لم توقف هجماتهم على بلاد الغال,فقد عادوا في العام التالي سنة(١١٥هـ/٧٣٣م) لمهاجمتها من جديد في عهد الوالي عبد الملك بن قطن الفهري.

أما أسباب الهزيمة فهي:

١)بُعد ميدان المعركة في جنوب فرنسا عن مركز التموين والدعم العسكري عن العاصمة قرطبة التي تُقدر بـ٩٠٠كم.

٢)طول فترة المعركة لثمانية أيام من شهر شعبان ورمضان بين نصر وخسارة ومد وجزر أتعب الجنود المسلمين.

٣)كانت غالبية المقاتلين من المسلمين البربر ولم يستطع القائد عبد الرحمن الغافقي من إزالة أسباب الخلاف بين جنوده من العرب والبربر.

٤)كثرة الغنائم التي كان يسحبها الجيش الإسلامي من جيش الفرنجة وخوف المسلمين من مهاجمتها وضياعها كان من أكبر أسباب الهزيمة.

٥)كان وقت المعركة في فصل الخريف وهو موسم الأمطار الثقيلة والمسلمون لا يستريحون للبرد والمطر فضلاً أنهم قاتلوا في منطقة كلها غابات.

٦)يبدو أن عبد الرحمن الغافقي كان جندياً عظيماً,ولكن تنقصه القدرة على وضع خطة محكمة للقتال كما أرينا مثلاً عند حسان بن النعمان أحد قادة فتح المغرب الإسلامي وطارق بن زياد إلا أن عبد الرحمن الغافقي استمر في سيره حتى لقيه الفرنجة.

٧)استشهاد القائد الوالي عبد الرحمن الغافقي في اليوم الأخير من المعركة أدى إلى ارتباك بين صفوف الجيش فقرر قادة الجيش الانسحاب ليلاً للحفاظ على أرواح المسلمين ولم يرغب القائد شارل مارتل من متابعة انسحاب وخسارة الجيش الإسلامي خوفاً من الخديعة.

٨)تميز المقاتلين الفرنجة وخاصة الألمان بالصبر والشجاعة والقوة فكانوا لا يقلون عن العرب المسلمين شراسة في الحروب مما أدى إلى عدم اختراق صفوفهم.

التركيبة السكانية للأندلس (المجتمع الأندلسي):

الفاتحون المسلمون للأندلس مزيج من قبائل عربية مختلفة منهم العدنانيون (من هاشميين وأمويين) ومنهم اليمنيون وأنضم إلى هؤلاء مصريون وشاميون وعراقيون وجمع كبير من البربر (المغاربة) وأمتزج هؤلاء بأهل البلاد من قوط وإسبان وغيرهم بالمصاهرة أو المجاورة.

ويمكن عرض أهم عناصر ومكونات المجتمع الأندلسي إلى:

١)العرب: لقد وفد أكثرهم على إسبانيا في شكل جنود أو قادة لا في شكل أُسر أي أنهم لم يأتوا في أغلب الأحيان بنسائهم وزوجاتهم فتزوجوا من نساء البلاد.

فمثلاً كان جيش موسى بن نُصير مؤلفاً من١٨ألفاً من العرب وكان جنود الشام الوافدون مع بلج بن بشر في عصر الولاة عشرة آلاف منهم ثمانية آلاف من بيوت العرب وألفان من الموالي وكان جنود ابن الخطار الكلبي الوافدون في عصر الولاة أيضاً من العرب كذلك وفد آخرون من العلماء والأدباء والتُجار سواء أفراداً أو أُسراً أو جماعات هربوا من اضطهاد العباسيين للأمويين وأنصارهم بالمشرق.

٢)البربر (المغاربة): لقد دخل البربر الأندلس جنباً إلى جنب مع عرب المشرق وكان أول طلائعهم تلك التي دخلت مع طارق بن زياد ثم لحقت منهم أعداداً كبيرة بعد الفتح فعبروا البحر وظلت هجرة البربر إلى الأندلس مستمرة ومتصلة بحكم القرب والجيرة. وكان أكثرهم من قبيلة زناتة وفروعها.

لقد انتشر البربر في معظم نواحي الأندلس وخاصة المناطق المتطرفة في أقصى الشمال الشرقي والغرب أو ما يُسمى بالثغور وصار معظم ولاة الثغور منهم.

لم تكن منازل العرب والبربر بالأندلس والتي استقروا بها اختياراً أو استئثاراً لفريق على آخر إنما استقروا حيث نزلوا أو ساروا أول أمرهم وصارت منازلهم على ذلك ومال كل فريق منهم إلى ما يناسبه من النواحي فاستقر العرب في السهول والمنخفضات والنواحي الدافئة القليلة المطر وخاصة في الجنوب والشرق والغرب في حين فضل البربر المناطق الجبلية العالية فاستقروا بها بأختيارهم لشبه كل بقعة بما كانوا عليه في المشرق أو في المغرب وقد أختلط البربر أيضاً مع السكان الأصليين بالأندلس وأرتبطوا معهم بروابط المصاهرة والمودة وتحولوا مع الزمن إلى بلدين أندلسيين أي سكان أصليين وصار لهم دور بارز في نشر الإسلام في تلك الديار وكان لهم دور واضح أيضاً إلى جانب العرب في فتح الأندلس أولاً والفتوحات ما وراء جبال البرتات ثانياً وكانوا قوة دافعة ومُجددة لهذه الفتوح على الرغم من حداثة عهدهم بالإسلام. ولكنهم أكثر تمسكاً بالإسلام وحماسة للفتح مع العرب لأن الإسلام كان وسيلتهم الأولى في الأندلس.

٣)المولـدون :عنـدما دخـل العـرب المسـلمين الأنـدلس,كـان سكانها شعباً أوروبياً نصـ ارنياً فـي غالبيتـه العظمى,يضم مجموعة قليلة من اليهود,حيث أرتبط الكثير مـن العـرب والبربـر بالمصـاهرة مـع السـكان الأصـليين فـي الأنـدلس,وعاشـوا معهـم متجـاورين متحـابين ومتسـاوين,الأمـر الـذي أدى إلـى انتشـار الإسلام في هذه البلاد,أطلقوا على السكان الأصليين اسم "عجم الأندلس" وعلى الـذين اسلموا مـن أهل الذمـة اسم "الأسالمة أو المسالمة" ثـم أطلقـوا علـى أولادهـم اسـم "المولـدين" ثـم تلاشـت بمـرور الـزمن هـذه التسمية بسبب اختلاط الناس,وتحول الجميع إلى شعب أندلسي واحد دون تمييز.

٤)المستعربون: هم السكان الأصـليين الـذين ظلـوا علـى ديـانتهم المسيحية فـي الأنـدلس وأطلقـوا علـيهم اسـم "المستعربون" تمييـ ا لهم عن القشتاليين والفرنجة الخارجين عن طاعة الدولة العربية الإسلامية بالأندلس, وأصبح المستعربون عنصـ ا متميـ ا في المجتمع يحسن لغة العرب المسلمين ويجري علـى عـاداتهم,رغم احتفاظه بديانته وطقوسـه ورفعت عـنهم كثيـر مـن المظـالم والضـ ارئب,التـي فرضـها علـيهم القـوط سابقاً, وكـان لهـم قضـاة ومحـاكم خاصـة بهـم,ولـم يرتـدوا الملابـس التـي تميـزهم عـن المجتمـع,ويغلـب أن يكـون للواحد منهم اسمان: اسم عربي يُشتهر بهـواسم إسباني أو لاتيني يُعرف بـه رسمياً وبلـغ استعـ اربهم لغةَ وثقافةَ أن يعيشـوا حياة عربية إلـى الحـد الـذي جعلهـم يختنـون أبنـاءهم,ويطبقـون نظـام الحـريم فـي البيـت علـى غـ ارر العرب المسلمين,وأحسن هؤلاء اللغة العربية وأتقنوها إلى جانب اللغة الإسبانية,وصار أهل الذمة والمسالمة ثم أبناءهم المولـدون,يشـكلون الأغلبيـة مـن يُسكان الأنـدلس,وصـار عـدد المولـدين فـيهم تباعاً,هم الأغلب في هذا المجتمع.

٥)الصقالبة: وهم من المماليك الذي كان يجلبهم تجار الإغريق والبندقية مـن شـواطئ البحـر الأسـود,ومـن المقاطعـات الإسبانية الشمالية,إلـى الأنـدلس ويبيعـونهم صـغا ا فينشـئوا نشأة إسـلامية وكـانوا يسـمون الخرس أيضاً لعجميتهم كما كانوا من أسرى الحروب جلبهم رجال القـ ارصنة المغاربة أو الأندلسيين أثناء غـا ارتهم الأوروبية للبحـر الأبـيض المتوسـط وبعـد مجيـئهم سـرعان مـا تعلمـوا العربيـة وأعتنقـوا الإسـلام وتحـرر فريـق مـنهم مـن العبوديـة وأحتل مكانـاً بـار ا فـي المجتمـع وصـار الصـقالبة عنصـ ا هامـاً مـن عناصـره فـي الأنـدلس وكـانوا يتواجـدون عـادة فـي العاصـمة قرطبـة والمـدن الرئيسية,وقـد أتخـذهم الأميـر الأمـوي الحكـم الأمـوي حرسـاً لـه,ولـم يلبـث عـددهم أن أزداد كثيـ ا وتفـاقم شـرهم فـي البـلاد أواخـر الدولـة الأموية بالأندلس,وبداية قيام الدولة العامرية.

٦)أهل الذمة (النصارى): كان أهل الذمـة مـن النصـارى,يُشـكلون الغالبيـة العظمـى فـي المجتمـع الأندلسـي في بداية الفتح العربي الإسلامي وعهد الولاة لكن بمرور الزمن أصبح عددهم يقل تدريجياً في حين أخـذ عدد العرب والبربر والموالي والمولدون يزداد,حتى صار أهل الذمة (النصارى) أخيـ ا أقلية من السكان, ولم يُمارس العرب المسلمون سياسة التمييـز بـين المسـلمين وأهل الذمـة فـي الوضـع والمعاملـة وعـاملوهم

بالتسامح والرفق وتزوجوا من نسائهم وبناتهم وأبقوهم على ديانتهم إن رغبوا مع دفع الجزية,وعاهدوهم وعاقدوهم على الصلح متى طلبوا وتركوا لهم حرية اختيار رؤوسائهم وممارسة طقوسهم الدينية دون ضغط أو تدخل,إلا أن بعضهم شارك في أعمال تخريبية وتحالف مع الممالك المسيحية في شمال إسبانيا.

٧)اليهود: شكل اليهود فئة صغيرة في إسبانيا قبل الفتح,ولاقوا سياسة الاضطهاد والظلم والعداء من قبل القوط,وعند فتح الأندلس تسامح العرب المسلمين معهم لأنهم من أهل الذمة وتمتعوا بالحرية الدينية وممارسة طقوسهم الخاصة,وأعادوا لهم حقوقهم وأملاكهم ونشطوا في جميع مجالات الحياة الأندلسية والاقتصادية خاصة واندمجوا مع المجتمع وصار لجماعاتهم رؤوسائهم مسوؤلون أمام الحكومة الإسلامية ُيعترف بهم. ومع ذلك فقد انحاز بعضهم إلى جانب أعداء العرب والإسلام وتحالفوا مع النصارى من الممالك الإسبانية في الشمال.

٨)الموالي: الموالي بالأندلس غير الموالي بالمشرق العربي فهم موالي بنو أمية,و ُعرفوا هكذا عندما دخلوا مع بلج بن بشر إلى الأندلس وكان عددهم ألفين وهم جزء من عدد كبير من موالي بني أمية,كان الخليفة هشام بن عبد الملك قد بعث بهم إلى أفريقيا وكان عددهم ثلاثين ألفاً,أرسلهم الخليفة هشام مع كلثوم بن عياض إلى إفريقية لمحاربة البربر عندما دخلوا الأندلس أنضم إليهم من كان من موالي بني أمية ومن دخلها بعدهم,فصار الموالي حزباً وقوة سياسية تؤثر في أحداث البلاد وكانت لهم اليد الطولى في إقامة الدولة الأموية بالأندلس والتي أقامها الأمير عبد الرحمن الداخل سنة(١٣٨هـ/٧٥٥م) لقد أزداد عد د الموالي في الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية في المشرق واشتد الطلب على الأمويين وأنصارهم فهربوا وتفرقوا في البلدان وأتجه أكثرهم إلى أفريقيا ومنها إلى الأندلس,وكان هؤلاء الموالي يعدون أنفسهم تابعين للبيت الأموي,وصار الموالي الشاميون جبهة واحدة وكونوا قوة بارزة في ولاية يوسف الفهري,على أن الموالي بالأندلس كانوا ثلاثة أنواع:

أ. الأول :ُهم موالي بني أمية من المشرق والذين ارتبطوا بروابط الولاء القديمة للبيت الأموي.

ب. الثاني: موالي المغرب العربي الذين دخلوا في ولاء بني أمية.

ج. الثالث: موالي الإسبان الذين أسلموا ودخلوا في ولاء بني أمية أو قوادِهم,وظلوا يحتفظون هم

وأبناءهم بهذه العلاقةوظل أهل الأندلس يرعون حرمة الولاء هذه.